

٤٢ - سورة الشورى

مكية وآياتها ثلاث وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَدَّ ۝ عَسَىٰ ۝ كَذٰلِكَ يُوحىٰ اِلَيْكَ وَاِلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ۝ لَمَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيْمُ الْعَظِيْمُ ۝ تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ قَوْفِهِمْ وَاَلْتُرْكُوْا يَسْتَحْسِرُوْنَ يَخْسَرُوْنَ رِيْبًا فِي الْاَرْضِ اِلَّا اِنَّ اِلٰهَهُمْ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ ۝ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْ دُوْنِهِ اٰتٰىهُ اللهُ حَقِيْقًا عَلَيْهِمْ وَمَا اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍ ۝﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة، وقوله عز وجل: ﴿كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ أي كما أنزل إليك هذا القرآن كذلك أنزل على الأنبياء قبلك، وقوله تعالى: ﴿الله العزيز﴾ أي في انتقامه، ﴿الحكيم﴾ في أقواله وأفعاله، عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن (الحارث بن هشام) سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال: وأحياناً يأتيني الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة رضي الله عنها: «فلقد رأيت عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جيبه ﷺ ليثفصد عرقاً»^(١). وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سألت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسمع صلاصلاً، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تقبض»^(٢). وقوله تبارك وتعالى: ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي الجميع عبيد له وملك له تحت قهره وتصريفه ﴿وهو العلي العظيم﴾ كقوله تعالى: ﴿وهو الكبير المتعال﴾، ﴿وهو العلي الكبير﴾، والآيات في هذا كثيرة. وقوله عز وجل: ﴿تكاد السموات ينفطرن من فوقهن﴾ قال ابن عباس والسدي: أي قرعاً من العظمة، ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ كقوله عز وجل: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾، وقوله جل جلاله: ﴿إلا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ إعلام بذلك وتنويه به، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يعني المشركين ﴿الله حفيظ عليهم﴾ أي شهيد على أعمالهم يحصيها ويعدّها عدأً، وسيجزبهم بها أوفر الجزاء، ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي إنما أنت تدير والله على كل شيء وكيل.

﴿وَكَذٰلِكَ اَوْحٰى اِلَيْكَ رَبُّكَ اَنْ تَقْرٰنَا عَرَبِيًّا لِشِدْرِ اَمِّ الْقُرَيْشِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَيَذَرُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَبِّهِ فِي الْاَرْضِ وَالْقُرٰى ۝ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْ دُوْنِهِ اٰتٰىهُ اللهُ حَقِيْقًا عَلَيْهِمْ وَمَا اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍ ۝﴾

يقول تعالى: وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ﴿أوحينا إليك قرآناً عربياً﴾ أي واضحاً جلياً بيتاً ﴿لنتفرد أم القرى﴾ وهي مكة، ﴿ومن حولها﴾ أي من سائر البلاد شرقاً وغرباً، وسميت مكة (أم القرى) لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة منها قول رسول الله ﷺ: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا

(١) أخرجه في الصحيحين واللفظ للبخاري. ومعنى يثفصد: أي يتصبب عرقاً.

(٢) أخرجه الإمام أحمد.

أني أخرجت منك ما خرجت»^(١). وقوله عز وجل: ﴿وتنزل يوم الجمع﴾ وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، وقوله تعالى: ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك في وقوعه وأنه كائن لا محالة، ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾، كقوله تعالى: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾ أي يغيب أهل الجنة أهل النار، وكقوله عز وجل: ﴿يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾. روى الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟ قلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال ﷺ: للذي في يمينه: «هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً»، ثم قال ﷺ: للذي في يساره: «هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً»، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلابي شيء نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ قال رسول الله ﷺ: «صدّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل»، ثم قال ﷺ: بيده فقبضها، ثم قال: «فرغ ربكم عز وجل من العباد، ثم قال باليمين فنبد بها فقال: فريق في الجنة، ونبد باليسرى وقال: فريق في السعير»^(٢).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ أي إما على الهداية أو على الضلالة، ولكنه تعالى فاوت بينهم، فهدى من يشاء إلى الحق، وأضل من يشاء عنه، وله الحكمة والحجة البالغة، ولهذا قال عز وجل: ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾ وقال ابن جرير: إن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب خلقت الذين خلقتهم، جعلت منهم فريقاً في الجنة وفريقاً في النار، لو ما أدخلتهم كلهم الجنة؟ فقال: يا موسى ارفع درعك، فرفع، قال: قد رفعت، قال: ارفع، فرفع، فلم يشرك شيئاً، قال: يا رب قد رفعت، قال: ارفع، قال: قد رفعت، إلا ما لا خير فيه، قال: كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه^(٣).

﴿أرأيتُمْ إِنْ دَعَا رَبُّهُمُ أَنْبِيَاءَهُمْ قَالُوا قَدْ سَبَّأْنَا رَبَّنَا وَعَتْنَا عَلَى الْعِلْمِ نُنزلُ مِنَ السَّمَاءِ نَارًا فَتَأْكُلُونَ أَهْلَ الْأَرْضِ وَأَسْفُلُ الْأَرْضِ جَمَلًا لِمَا كَفَرْتُمْ وَأَنْتُمْ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ آذِنُونَ ﴿١٠﴾ وَأَرَأَيْتُمْ إِنْ دَعَا رَبُّهُمُ أَنْبِيَاءَهُمْ قَالُوا قَدْ سَبَّأْنَا رَبَّنَا وَعَتْنَا عَلَى الْعِلْمِ نُنزلُ مِنَ السَّمَاءِ نَارًا فَتَأْكُلُونَ أَهْلَ الْأَرْضِ وَأَسْفُلُ الْأَرْضِ جَمَلًا لِمَا كَفَرْتُمْ وَأَنْتُمْ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ آذِنُونَ ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى متكرراً على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، ومخبراً أنه الولي الحق الذي لا تبغي العبادة إلا له وحده، فإنه هو القادر على إحياء الموتى، وهو على كل شيء قدير، ثم قال عز وجل: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ أي مهما اختلفتم فيه من الأمور، وهذا عام في جميع الأشياء ﴿فحكمه إلى الله﴾ أي هو الحاكم فيه بكتابه وستة نبيه ﷺ، كقوله جل وعلا: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾، ﴿ذلكم الله ربي﴾ أي الحاكم في كل شيء، ﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أي أرجع في جميع الأمور، وقوله جل جلاله: ﴿فماطر السّموات والأرض﴾ أي خالقهما وما بينهما ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ أي من جنسكم وشكلكم، مئة عليكم وتفضلاً، جعل من جنسكم ذكراً وأنثى، ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ أي وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج، وقوله تبارك وتعالى: ﴿يفرؤكم فيه﴾ أي يخلقكم فيه على

(١) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٣) أخرجه ابن جرير من حديث عمرو بن أبي سويد.

هذه الصفة، لا يزال يذروكم فيه ذكوراً وإنانا خلقاً من بعد خلق، وجيلاً بعد جيل، وقال البغوي ﴿يذروكم أي في الرحم، وقيل: في هذا الوجه من الخلقة، قال مجاهد: نسلًا بعد نسل من الناس والأنعام. وقيل: «في» بمعنى الباء؛ أي يذروكم به. ﴿ليس كمثله شيء﴾ أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء، لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له ﴿وهو السميع البصير﴾، وقوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ تقدم تفسيره في سورة الزمر، وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم فيهما، ﴿يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، وله الحكمة والمدل التام. ﴿إنه بكل شيء عليم﴾.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَنْبِئُوا النَّاسَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣١﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَيْنِ مَا بَدَأَهُمْ بِهَا يَوْمَئِذٍ لِكُلِّ أَصْحَابٍ أَجْرٌ وَسَعَى لَهُمْ يَوْمَئِذٍ آفَتُهُمْ كُلُّهُمْ فِيهِمْ ﴿١٣٢﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِذْ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اثْقَالًا مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِذْ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اثْقَالًا مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣٤﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِذْ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اثْقَالًا مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿شرح لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك﴾، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو (نوح) عليه السلام، وآخرهم وهو (محمد) ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم، وهم: إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة، كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿وإذ أخلقنا من النبيين مبثوغيهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ الآية، والدين الذي جاءت به الرسل كلهم، هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال عز وجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾، وفي الحديث: «نحن معشر الأنبياء أولاد غلات، ديننا واحد، أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله جل جلاله: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾، ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ أي أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالاتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف. وقوله عز وجل: ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ أي شق عليهم، وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد، ثم قال جل جلاله: ﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ أي هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد، ولهذا قال تعالى: ﴿وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ أي إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم، وقيام الحاجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد، ثم قال عز وجل: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى﴾ أي لولا الكلمة السالفة من الله تعالى بإنظار العباد إلى يوم المعاد، لعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعاً، وقوله جل جلالته: ﴿وإن الذين أوردوا الكتاب من بعدهم﴾ يعني الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق ﴿لنفي شك منته مريب﴾ أي ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم، وإنما هم مقلدون لأبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا برهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مريب وشفاق بعيد.

﴿فَلِلَّهِ فَادَعُ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنَّا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ وَأَمَرْتُ بِالْأَخْوَالِ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا آمَنَّاكُمْ لَاحِقَةً بَيْنَنَا وبينكم اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَعِيرُ ﴿١٣٦﴾﴾.

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلة، كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسها، قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه، وقوله: ﴿فلذلك فادع﴾ أي فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك، أصحاب الشرائع المتبعة، فادع الناس إليه، وقوله عز وجل: ﴿وأستقم كما أمرت﴾ أي وأستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى، كما أمركم الله عز وجل. وقوله تعالى: ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ يعني المشركين فيما اختلفوه فيه وكذبوه وافترقوا من عبادة الأوثان. وقوله جل وعلا: ﴿وقل آمنا بما أنزل الله من كتاب﴾ أي صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء

على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم . وقوله : ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾ أي في الحكم كما أمرني الله . وقوله جلّت عظمته ﴿ الله ربنا وربكم ﴾ أي هو المعبود لا إله غيره فنحن نقر بذلك اختياراً ، وأنتم وإن لم تفعلوه اختياراً فله يسجد من في العالمين طوعاً وإجباراً . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ لنا أصالنا ولكم أعمالكم ﴾ أي نحن برآء منكم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ لا حجة بيننا وبينكم ﴾ قال مجاهد : أي لا خصومة . قال السدي : وذلك قبل نزول آية السيف ، وهذا منجه ، لأن هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة . وقوله عز وجل : ﴿ الله يجمع بيننا ﴾ أي يوم القيامة كقوله : ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم ﴾ . وقوله جلّ وعلا : ﴿ واليه المصير ﴾ أي المرجع والمآب يوم الحساب .

﴿ وَالَّذِينَ يَحْتَابُونَ لِيَوْمٍ مَا هُوَ لَكُمْ إِلَى اللَّهِ كَيْفَ يُعْطِيهِمْ مِنْ عِندِ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ١٧ ﴾
 اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْبَيِّنَاتِ لِقَوْمٍ أَنْصَحُوا لِقَوْلِ اللَّهِ وَرَبِّهِمْ لَعَلَّ الْإِنْسَانَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ١٨
 مُشْفِقُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ١٩

يقول تعالى مترعداً الذين يصدون عن سبيل الله من أمن به ﴿ والذين يحاجون في الله من بعد ما استجاب لهُ ﴾ أي يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى ﴿ حاجتهم داحضة عند ربهم ﴾ أي باطلة عند الله ﴿ وعليهم غضب ﴾ أي منه ﴿ ولهم عذاب شديد ﴾ أي يوم القيامة ، قال ابن عباس ومجاهد : جادلوا المؤمنين بعد ما استجابوا لله ولرسوله ، ليصدوهم عن الهدى ، وطمعوا أن تعود الجاهلية ، وقال قتادة : هم اليهود والنصارى قالوا لهم : ديننا خير من دينكم ، رئيسا قبل نبيكم ، ونحن خير منكم وأولى بالله منكم ، وقد كذبوا في ذلك . ثم قال تعالى : ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق ﴾ يعني الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه ﴿ والميزان ﴾ وهو العدل والإنصاف ، وهذه كقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ ، وقوله : ﴿ ألا تظفوا في الميزان ﴾ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . وقوله تعالى : ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ فيه ترهيب منها ، وترهيد في الدنيا ، وقوله عز وجل : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ أي يقولون : متى هذا الوعد؟ وإنما يقولون ذلك تكذيباً واستبعاداً وكفراً وعناداً ، ﴿ والذين آمنوا مشفقون منها ﴾ أي خائفون وجلون من وقوعها ﴿ ويعلمون أنها الحق ﴾ أي كائنة لا محالة ، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها ، وقد روي أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ بصوت جهوري ، وهو في بعض أسفاره ، فناداه ، فقال : يا محمد ، فقال له رسول الله ﷺ ، نحواً من صوته : «هاؤم» ، فقال له : متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ : «ويحك إنها كائنة فما أعددت لها؟» فقال : حب الله ورسوله ، فقال ﷺ : «أنت مع من أحببت»^(١) ، فقوله في الحديث : «المرء مع من أحب» ، هذا متواتر ، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها ، وقوله تعالى : ﴿ ألا إن الدين يمارون في الساعة ﴾ أي يجادلون في وجودها ، ويدفعون وقوعها ﴿ لفي ضلال بعيد ﴾ أي في جهل بين ، لأن الذي خلق السماوات والأرض ، قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأخرى ، كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

﴿ اللَّهُ لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٢٠ ﴾
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٢١
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٢٢
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٢٣
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٢٤
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٢٥
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٢٦
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٢٧
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٢٨
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٢٩
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٣٠
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٣١
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٣٢
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٣٣
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٣٤
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٣٥
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٣٦
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٣٧
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٣٨
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٣٩
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٤٠
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٤١
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٤٢
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٤٣
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٤٤
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٤٥
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٤٦
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٤٧
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٤٨
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٤٩
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٥٠
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٥١
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٥٢
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٥٣
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٥٤
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٥٥
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٥٦
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٥٧
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٥٨
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٥٩
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٦٠
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٦١
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٦٢
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٦٣
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٦٤
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٦٥
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٦٦
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٦٧
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٦٨
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٦٩
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٧٠
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٧١
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٧٢
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٧٣
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٧٤
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٧٥
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٧٦
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٧٧
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٧٨
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٧٩
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٨٠
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٨١
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٨٢
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٨٣
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٨٤
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٨٥
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٨٦
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٨٧
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٨٨
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٨٩
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٩٠
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٩١
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٩٢
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٩٣
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٩٤
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٩٥
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٩٦
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٩٧
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٩٨
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ٩٩
 لَئِن لَّمْ يَئْتِ الْبَشَرُ نَذْرٌ مِنْ رَبِّكَ قَبْلُ لَوَلَّاهُ الْبَدْرَ وَأَنْ لَبِئْسَ الْأَخِرُ ١٠٠

(١) أخرجه أصحاب السنن والمسائيد وله طرق تبلغ درجة التواتر كما قال ابن كثير .

يقول تعالى مخبراً عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم سواء البر والفاجر، كقوله عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ الآية، وقوله جل وعلا: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يوسع على من يشاء ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ أي لا يعجزه شيء، ثم قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أي عمل الآخرة ﴿فَلْيَرْزُقْهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أي تقويه ونعته على ما هو بصدده، ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما يشاء الله، ﴿وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ أي ومن كان سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة هم بالكلية، حرمه الله الآخرة وفاز بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة، كقوله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ حِجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَلْعُومًا مَدْحُورًا﴾، وفي الحديث: «بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب»^(١). وقوله جل وعلا: ﴿وَأَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْخُذْ بِهِ اللَّهُ﴾ أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالات الباطلة، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه^(٢) في النار»، لأنه أول من سب السائب، وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل هذه الأشياء، وهو الذي حمل قريشاً على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي لعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقدم من الإنتظار إلى يوم المعاد، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي شديد موجه في جهنم وبئس المصير، ثم قال تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مَسْفُوفِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي في عرصات القيامة ﴿وَهُوَ واقع بهم﴾ أي الذي يخافون منه واقع بهم لا محالة، هذا حالهم يوم معادهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ حَتَّىٰ رِيحِهِمْ﴾ فأين هذا من هذا؟ أين من هو في الذل والهوان، ممن هو في روضات الجنان، فيما يشاء من مأكول ومشرب وملاذ، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؟ ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي الفوز العظيم والنعمة التامة، الشاملة العامة.

﴿قَوْلَهُ أَلَيْسَ لِنَارِهِمْ مُبَدِّلٌ اللَّهُ بِمَبْدُؤِ الْأَيْدِي بَأْسًا وَمَعْلُومًا عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَنْتَظِرْ عَذَابَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ وَمَنْ يَنْتَظِرْ حَسَنَةً لَوْ أَنَّهُ يَمُنُّ بِهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ عَزِيزٌ ﴿١٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَتَمَنَّا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ بَدَأَ اللَّهُ جَنَّةَ عَن قَلْبِهِ وَنَسَخَ اللَّهُ الْكَلِمَةَ لَعَلَّ لَكُمْ يَكْتُمُونَهُ وَإِنَّ عَيْتًا يَدِينُ الشُّعُورِ ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَبْشُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي هذا حاصل لهم كائن لا محالة، بيشارة الله تعالى لهم به، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح مالا، وإنما أطلب أن تدروني أبلغ رسالات ربي، فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فقال سعيد بن جبیر: قريبي آل محمد، فقال ابن عباس: حَجَلْتُ؛ إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة^(٣). وروى الحافظ الطبراني، عن ابن عباس قال: قال لهم رسول الله ﷺ: «لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم،

(١) رواه الثوري عن أبي العالية عن أبي بن كعب مرفوعاً.

(٢) قصبه: أي أمعاه.

(٣) أخرجه البخاري، ويقول ابن عباس قال مجاهد وعكرمة وقاتدة والسدي.

وتحفظوا القرابة بيني وبينكم^(١). وروى الإمام أحمد، عن مجاهد، عن ابن عباس: «لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجرأ إلا أن توادوا الله تعالى، وأن تقربوا إليه بطاعته»، وهذا كأنه تفسير بقول ثان، كأنه يقول: إلا المودة في القربى، أي إلا أن تعملوا بالطاعة التي تقرّبكم عند الله زلفى، وقول ثالث وهو ما حكاه البخاري عن سعيد بن جبير أنه قال: معنى ذلك أن تودوني في قرابتي، أي تحسنوا إليهم وتبرؤهم، قال السدي: «لما جيء بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيراً، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم، واستأصلكم، وقطع قرن الفتنة، فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال: ما قرأت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم^(٢). والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به جبر الأمة وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، كما رواه عنه البخاري، ولا تنكر الوصية بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، وفي الصحيح أن الصديق رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه: والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي، وقال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله عنهما: والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب. وروى الإمام أحمد، عن يزيد بن حبان قال: انطلقت أنا والحصين بن مسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه، فلما جلسنا إليه قال حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً: رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه؛ لقد رأيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ؛ فقال: يا ابن أخي لقد كبر سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوه، وما لا فلا تكلفوني، ثم قال رضي الله عنه: قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فبنا بماء يدعى حُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وذكر ووعظ، ثم قال ﷺ: «أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه، وقال ﷺ: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساءه من أهل بيته؟ قال: إن نساءه لسن من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقیل، وآل جعفر، وآل العباس رضي الله عنهم، قال: كل هؤلاء حرم الله عليه الصدقة؟ قال: نعم^(٣). وروى الترمذي، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، والآخر عترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما^(٤)». وروى الترمذي أيضاً، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن

(١) أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس.

(٢) ذكره ابن جرير وعليّ هذا القول المراد بالقربى قرابة النبي ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي.

(٤) أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب.

تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾ أي ومن يعمل حسنة ﴿تزد له فيها حسناً﴾ أي أجراً وثواباً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي يغفر الكثير من السيئات، ويكثر القليل من الحسنات، فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر، وقوله جل وعلا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترى على الله كذباً فإن يسأ يختم على قلبك﴾ أي لو افترت عليه كذباً كما يزعم هؤلاء الجاهلون ﴿يختم على قلبك﴾ ويسلبك ما كان آتاك من القرآن، كقوله جل جلاله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، أي لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه. وقوله جلّت عظمته: ﴿وَيَمَسُّ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ مرفوع على الابتداء وحذفت من كتابته الواو في رسم مصحف الإمام كما حذفت في قوله: ﴿سندع الزبانية﴾، وقوله عز وجل ﴿ويحق الحق بكلماته﴾ أي يحققه ويثبت به وببينه ويوضحه بكلماته﴾ أي بحججه وبراهينه، ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أي بما تكنه الضمائر، وتتطوي عليه السرائر.

﴿وَمَوْ أَلَدَى بَيْتِ الرَّؤُفَةِ عَن عِبَادِهِ وَيَمْلَأُ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْمُلُونَ ﴿٦٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ يَسْتَسْطِ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لِيَرْزُقَهُمْ وَاللَّهُ يَبْدَأُ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِمَا يَصْنَعُونَ خَبِيرٌ ﴿٦٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ سَمَاءٍ فَأَنْزَلْنَا مِنْهُ مَاءً غَاسِقًا يُخْضِرُ الْخَلْجَ الْكَلْبَ ﴿٦٨﴾﴾.

يقول تعالى ممثلاً على عباده بقبول توبتهم إذا تابوا ورجعوا إليه، أنه من كرمه وحلمه يعفو ويصفح، ويستر ويغفر، كقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، وقد ثبت في «صحيح مسلم»، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كانت راحته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»، وقوله عز وجل: ﴿ويعفو عن السيئات﴾ أي يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي، ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ أي هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقاتم، ومع هذا يتوب على من تاب إليه، وقوله تعالى: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال السدي: يعني يستجيب لهم، أي الدعاء لأنفسهم ولأصحابهم وإخوانهم، ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أي يستجيب دعواتهم ويزيدهم فوق ذلك، حدثنا محمد بن العصفى، حدثنا بقة، حدثنا إسماعيل بن عبد الله الكندي، حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «في قوله تعالى: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ قيل: الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم معروفاً في الدنيا» وقال إبراهيم النخعي في قوله عز وجل: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال: يشفعون في إخوانهم، ﴿ويزيدهم من فضله﴾، قال: يشفعون في إخوان إخوانهم، وقوله عز وجل: ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ذكر الكافرين وما لهم عند يوم القيامة من العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم.

وقوله تعالى: ﴿ولو يسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطفيان، من بعضهم على بعض أشراً ويطراً، وقال قتادة: وكان يقال خير العيش ما لا يلهيك ولا يطفئك، وذكر قتادة حديث: «إنما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا»، وقوله عز وجل: ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ أي ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما

(١) أخرجه الترمذي أيضاً وقال: حسن غريب.

فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك، فيفتني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر، كما جاء في الحديث المروي^(١): «إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأنسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأنسدت عليه دينه». وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا﴾، أي من بعد بأس الناس من نزول المطر، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه، كقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْسِينَ﴾ وقوله جل جلاله: ﴿وَيُنْشِرُ رَحْمَتَهُ﴾ أي يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية، قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين قحط المطر، وقط الناس، فقال عمر رضي الله عنه: مطرتم، ثم قرأ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا وَيُنْشِرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي هو المتصرف لخلقهم بما ينفعهم في دنياهم وأخراتهم، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يفعله ويفعله.

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ مِمَّا يَسْعَى وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّهُ عَلِيمٌ ذَكِيٌّ﴾^(٢) وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ آلِهَةٍ إِلَّا تُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَلْفَ مَرَّةٍ أَوْ كَثِيرًا وَلَا تَشْعُرُونَ أَنَّكُمْ يُسَمَعُونَ مَا نُمِطُ بِهِ إِلَّا قَلِيلٌ مِمَّا تَدْعُونَ﴾^(٣) وَمَا أَشَدُّ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ آلِهَةٍ إِلَّا تُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَلْفَ مَرَّةٍ أَوْ كَثِيرًا وَلَا تَشْعُرُونَ أَنَّكُمْ يُسَمَعُونَ مَا نُمِطُ بِهِ إِلَّا قَلِيلٌ مِمَّا تَدْعُونَ﴾^(٤)

يقول تعالى: ﴿ومن آياته﴾ الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر ﴿خلق السموات والأرض وما بث فيهما﴾، أي ذرا فيهما، أي في السماوات والأرض ﴿من دابة﴾، وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات، على اختلاف أشكالهم والوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم، وقد فرقهم في أرجاء أقطار السماوات والأرض، ﴿وهو﴾ مع هذا كله ﴿على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ أي يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق، وقوله عز وجل: ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم﴾ أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب، فإنما هي عن سيئات تقدمت لكم ﴿ويعفو عن كثير﴾ أي من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها، ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾. وفي الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من خطاياها حتى الشوكة يشاكها». وعن أبي جحيفة قال: دخلت على (علي بن أبي طالب) رضي الله عنه فقال: ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يعمه؟ قال: فسألناه، فتلا هذه الآية: ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ قال: «ما عاقب الله تعالى به في الدنيا، فالله أحلم من أن يشي عليه العقوبة يوم القيامة، وما عفا الله عنه في الدنيا، فالله أكرم من أن يعود في عفو يوم القيامة»^(٥). وروى الإمام أحمد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله تعالى بالحزن ليكفرها»^(٦). وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ قال: لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود، ولا اختلاج عرق، ولا عثرة قدم، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»^(٧). وعن الضحاك قال: ما تعلم أحداً حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ثم قرأ: ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾، ثم قال الضحاك: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن؟

(١) المراد بالحديث المروي أي المحكي عن الله عز وجل وهو المشهور بالحديث القدسي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم مرفوعاً ورواه مرفوعاً من وجه آخر.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المستند.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري مرسلًا.

﴿وَمِن آيَاتِهِ الْمَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٧﴾ إِنَّ يَمَّا يَسْكُنُ الرِّيحَ يَطَّلِنُ نَوَاجِدَهُ عَلَى ظَهْرِهِ إِذْ يَكْبَهُ لَكِنِّي لَكِنِّي صَبَّارٌ ﴿٢٨﴾ أَوْ يُوقِعُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٢٩﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يَجْتَدِلُونَ فِي بَيْنَانَا مَا لَمْ يَنْصِبُوا مِنْ حِمْلِهِمْ ﴿٣٠﴾﴾

يقول تعالى: ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره ﴿كوالاعلام﴾ أي كالجبال، أي هذه في البحر كالجبال في البر، ﴿إن يما يسكن الرياح﴾ أي التي تسير في البحر بالسفن، لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدة لا تجميء ولا تذهب، بل واقفة ﴿على ظهره﴾ أي على وجه الماء، ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ أي في الشدائد ﴿شكور﴾ أي في الرخاء. وقوله عز وجل ﴿أو يوقعن بما كسبوا﴾ أي ولو شاء لأهلك السفن وغرقها، بذنوب أهلها الذين هم راكبون فيها، ﴿ويعف عن كثير﴾ أي من ذنوبهم، ولو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر، وقال بعض علماء النفسير ﴿أو يوقعن بما كسبوا﴾ أي لو شاء لأرسل الرياح قوية عاتية، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم، فصرفت ذات اليمين أو ذات الشمال، أبقت لا تسير على طريق ولا إلى جهة مقصد، وهذا القول يتضمن هلاكها وهو مناسب للآول، وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الرياح فوقفت، أو لقرآه فشردت وأبقت وهلكت، ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية، ولو أنزله كثيراً جداً لهدم البنيان، أو قليلاً لما أنبت الزرع والثمار. حتى إنه يرسل إلى مثل (بلاد مصر) سيحاً من أرض أخرى غيرها، لأنهم لا يحتاجون إلى مطر، ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم، وقوله تعالى: ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص﴾ أي لا محيد لهم عن بأسنا ونقمنا، فإنهم مقهورون بقدرتنا.

﴿لَا أُرِيكُمْ مِنْ شَيْءٍ لَقِيَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ حَزْراً وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَقِلُوا رَبَّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَثِيرٌ مِنَ الْإِثْمِ وَالْفُرْقَانِ وَإِذَا مَا حَسِبُوا أَنَّ نَفْسَهُمْ كَتَبَ الْوَيْدُ عَلَيْهِمْ إِثْمَهُمْ فَخَفُوا مِنْهَا وَخَفُوا مِنْهَا وَخَفُوا مِنْهَا ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْكُرْهُمْ كَفُّوا عَنْهَا ﴿٣٣﴾﴾

يقول تعالى محقراً لشأن الحياة الدنيا وزينتها، وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني بقوله تعالى: ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا﴾ أي مهما حصلتم وجمعتم فلا تغفروا به، فإنما هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار دنية فانية زائلة لا محالة، ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ أي وثواب الله خير من الدنيا وهو باق سرمدي، فلا تقدموا الفاني على الباقي، ولهذا قال تعالى: ﴿للذين آمنوا﴾ أي للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات. ثم قال تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ وقد قدمنا الكلام على الإثم والفواحش في سورة الأعراف، ﴿وإذا ما غضبوا هم يفتفرون﴾ أي سجتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، وقد ثبت في الصحيح: «أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله». وفي حديث آخر كان يقول لأحدنا عند المعتبة: «ما له تربت يمينه»، وقوله عز وجل: ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ أي اتبعوا رسله وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره، ﴿واقاموا الصلاة﴾ وهي أعظم العبادات لله عز وجل، ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أي لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بأرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ الآية، ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها لطيب بذلك قلوبهم، ﴿ومما رزقناهم يفتقون﴾ وذلك بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب، وقوله عز وجل: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بالمعجزين ولا الأذلين، بل يقدرون على الانتقام ممن بغي عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفواً، كما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثمانين الذين قصده عام الحديبية، وكذلك عفو ﷺ عن (غورث بن الحارث) الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم، وكذلك عفا ﷺ عن (لبيد بن الأعصم) الذي سحره عليه السلام، ومع هذا لم

يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ وَكَرَّوْا سِنِينَ سِنِينَ يَنْظُرُونَ بِمَا كَفَرُوا وَعَسَى أَنْ تُبَدِّلَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ وَيُطَهِّرَ تَزَكَّى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٣﴾ وَكَرَّوْا سِنِينَ سِنِينَ يَنْظُرُونَ بِمَا كَفَرُوا وَعَسَى أَنْ تُبَدِّلَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله تبارك وتعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ كقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾، وكقوله: ﴿وإن عاقبتهم فماتوا بمثل ما صوبتم به﴾ الآية فشرع العدل وهو الفصاح وندب إلى الفضل وهو العفو كقوله جل وعلا: ﴿والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ أي لا يضيع ذلك عند الله كما صح ذلك في الحديث: «وما زاد الله تعالى عبداً بعفو إلا عزاً» وقوله تعالى: ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ أي المعتدين وهو المبتدئ بالسنة، ثم قال جل وعلا: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم، روى النسائي، عن عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ما علمت حتى دخلت عليّ زينب بغير إذن وهي غضبي، ثم قالت لرسول الله ﷺ: حسبك إذا قلبت لك ابنة أبي بكر درعها، ثم أقبلت عليّ، فأعرضت عنها حتى قال النبي ﷺ: «دونك فانتصري» فأقبلت عليها حتى رأيت ريقها قد يس في فمها ما ترد علي شيئاً فرأيت النبي ﷺ يتهلل وجهه . وروى البزار عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من دعا علي من ظلمه فقد انتصر» . وقوله عز وجل: ﴿إنما السبيل﴾ أي إنما الحرج والعنت ﴿على الذين يظلمون الناس ويوقنون في الأرض بغير الحق﴾ أي يبدؤون الناس بالظلم، كما جاء في الحديث الصحيح: «المستبان ما قالا، فعلى الباديء ما لم يعتد المظلوم» «أولئك لهم عذاب أليم» أي شديد موجع، ثم إن الله تعالى لما ذم الظلم وأمله وشرع القصاص قال نادياً إلى العفو والصفح: ﴿ولمن صبر وغفر﴾ أي صبر على الأذى وستر السببة ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ أي لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة، التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل . وقال الفضيل بن عياض: «إذا أنك رجل يشكو إليك رجلاً قتل: يا أخي اعف عنه، فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن انتصر كما أمرني الله عز وجل، قتل له: إن كنت تحسن أن تنتصر، وإلا فارجع إلى باب العفو، فإنه باب واسع، فإنه من ﴿عفا وأصلح فأجره على الله﴾، وصاحب العفو ينال على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور» . وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي ﷺ، وقام فلحقه أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله إنه كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقلت، قال: «إنه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان» ثم قال: «يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمظلومة فيغضي عنها لله إلا أعزه الله تعالى بها ونصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة» ، وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو مناسب للصدوق رضي الله عنه.

﴿ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَائِرِ عَمَلٍ إِنَّهُ يَقُولُ إِذْ يُلَاقَى اللَّهَ يَا أَرْضُ ابْنَكَ وَرَبِّي إِنَّهُ عَلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ لَمُحْسِنٌ ﴿١٥﴾ ﴾

(١) أخرجه النسائي وابن ماجه واللفظ للنسائي.

(٢) أخرجه البزار والترمذي.

(٣) رواه ابن أبي حاتم من كلام الفضيل رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد وأبو داود.

يَمْرُؤُونَ عَلَيْهَا حَسْبِينَ مِنَ الدَّلَالِ يَطْرُقُونَ مِنْ غَدَابٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَجِدُهُم بِالْآيَاتِ خَيْرًا أَنفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الْفَالِقِينَ فِي عَذَابٍ مُبِينٍ ﴿٤١﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بِصُورَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ قَائِمٌ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة، أنه من هده فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، كما قال عز وجل: ﴿ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾، ثم قال عز وجل مخبراً عن الظالمين وهم المشركون بالله ﴿لما رأوا العذاب﴾ أي يوم القيامة تنموا الرجعة إلى الدنيا، ﴿يقولون هل إلى مرد من سبيل﴾، كما قال جل وعلا: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾، وقوله عز وجل: ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أي على النار، ﴿خاشعين من الذل﴾ أي الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ قال مجاهد: يعني ذليل، أي ينظرون إليها مسارقة خوفاً منها، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة، ﴿وقال الذين آمنوا﴾ أي يقولون يوم القيامة ﴿إن الخاسرين﴾ أي الخسار الأكبر، ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ أي ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وفرق بينهم وبين أحببهم وأصحابهم فخسروهم، ﴿ألا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾ أي دائم سرمدى أبدي، لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها. وقوله تعالى: ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾ أي يتخذونهم مساهم فيه من العذاب والنكال، ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ أي ليس له الخلاص.

﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نصيب﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿إن أفرسوا منا أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا النصح وإنا إذا أدقنا الإنسان منا رحمة فرح بما آتاه من فضله﴾ ﴿٤٤﴾

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له، فقال: ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله﴾ أي إذا أمر بكونه، فإنه كلمح البصر يكون، وليس له دافع ولا مانع، وقوله عز وجل: ﴿ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نصيب﴾ أي ليس لكم حصن تحصنون فيه، ولا مكان يستركم وتتنكرون فيه، فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى، بل هو محيط بكم يعلمه وبصره وقدرته، فلا ملجأ منه إلا إليه ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ كلاً لا وذر * إلى ربك يومئذ المستقر﴾، وقوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا﴾ يعني المشركين ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ أي لست عليهم بمصيطر، وقال تعالى: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾، وقال جل وعلا ههنا: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ أي إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم، ثم قال تعالى: ﴿وإننا إذا أدقنا الإنسان منا رحمة فرح بما آتاه من فضله﴾ أي إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ يعني الناس ﴿سيئة﴾ أي جذب ونقمة وبلاء وشدة، ﴿فإن الإنسان كفور﴾ أي يجحد ما تقدم من النعم، ولا يعرف إلا الساعة الراحنة، فإن أصابته نعمة أشرب ويطر، وإن أصابته محنة يشرب فقط، فالمؤمن كما قال ﷺ: ﴿إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن﴾.

﴿هو خالق السموات والأرض يخلق ما يشاء﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿لئن يشاء الله ليمسحن بريح من يشاء﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويمسحن بيدهما﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿إنه عليم قدير﴾ ﴿٤٨﴾

يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض، ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء ﴿ويهب لمن يشاء إناثاً﴾ أي يرزقه البنات فقط ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ أي يرزقه البنين فقط، ﴿أو يزوجهم ذكراً وإناثاً﴾ أي ويعطي لمن يشاء الزوجين (الذكر والأنثى) أي من هذا وهذا، ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ أي لا يولد له، فجعل الناس أربعة

أقسام: منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكوراً وإناثاً، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيماً لا نسل له ولا ولد له، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام، ﴿قَدِيرٌ﴾ أي على من يشاء من تفاوت الناس في ذلك، فسبحان العليم القدير.

﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ رُسُلًا رَسُولًا فَيُوحِي بِيَأْذِينِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝٥١﴾ وكذلك أوحينا إليك رؤساً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴿وَالَّذِي لَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ صِرَاطٌ أَلُوَ الَّذِي لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا لِيُؤْتِيَهُمُ الْأُمُورَ ۝٥٣﴾ .

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الرب جل وعلا، فتارة يقذف في روع النبي ﷺ وحياً لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل، كما جاء في «صحيح ابن حبان» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»، وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام، فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أبابك كفاحاً» كما جاء في الحديث، وكان قد قتل يوم أُحُد ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الدنيا. وقوله عز وجل: ﴿أَوْ يَرْسَلْ رَسُولًا فَيُوحِي بِيَأْذِينِهِ مَا يَشَاءُ﴾ كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فهو علي عليم، خبير حكيم. وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ يعني القرآن، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْعِبَادِنَا﴾، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ﴾ أي يا محمد ﴿لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الخلق القويم، ثم فسره بقوله تعالى: ﴿صِرَاطُ اللَّهِ﴾ أي شرعه الذي أمر به الله، ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه، ﴿إِلَّا إِلَىٰ اللَّهِ تُعْجِرُ الْأُمُورَ﴾ أي ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

[آخر تفسير سورة الشورى، والله الحمد والمنة]

